عن الترجمة وصعوباتها فى مجال الإنسانيات والعلوم الاجتماعية

بقلم : عبد الستار الحلوجى(*)

بداية أعترف بأننى لست من المترجمين المحترفين، وبأن ما ترجمته من اللغة الإنجليزية إلى العربية لم يزد على ثلاثة كتب وإن كانت صفحات أحدها قد تجاوزت الألفين وحفلت بأسماء أشخاص وأماكن فى أكثر من مائة دولة وتضمنت عناوين كتب بعشرات اللغات غير المألوفة وخاصة الآسيوية والأفريقية. ومع ذلك فإن تجربتى المحدودة فى مجال الترجمة قد كشفت لى عن أمور كنت أعرف بعضها وأجهل البعض الآخر.

أعرف – مثلاً – أن من يتصدى للترجمة لابد أن يكون على دراية كاملة بالأضلاع الثلاثة لمثلث الترجمة وهى : اللغة التى ينقل عنها، واللغة التى ينقل إليها، والتخصص الموضوعى لعمل المترجم، فإتقان اللغة التى ينقل عنها هو الضمان الوحيد لسلامة نقل الأفكار التى أودعها المؤلف فى النص، وبدون ذلك يبتعد النص المترجم عن أصله وتفقد الترجمة قيمتها. ولعل هذا هو ما يفسر لنا أن العمل الواحد قد يُترجم ثم تعاد ترجمته مرة أخرى، وربما أكثر من مرة.

أما إتقان اللغة التى تتم الترجمة إليها فلا يقل أهمية عن إتقان اللغة التى تتم الترجمة عنها، لأن أى تهاون فى ذلك ينتج عنه فساد فى التعبير يفسد المعنى الذى قصده المؤلف الأصلى. وكثير من النصوص المترجمة يجد القارئ عسرا فى فهمها، وقد يضطر إلى الرجوع للنص الأصلى لاستيضاح ما غُمض عليه. وقد لا يكون هذا العسر ناتجا عن قصور فى فهم المتُرجم للنص الأصلى وإنما عن قصور فى الأداء اللغوى وفساد فى التعبير . وأذكر أننى ترجمت كتابا عن "الكتاب فى العالم الإسلامى" نشر فى سلسلة "عالم المعرفة" التى تصدر فى الكويت، وكان من أطرف ما سمعته من تعليقات أن من يقرأ الكتاب يحس أنه تأليف لا ترجمة، وكان متحدثى يقصد أن الترجمة كتبت بلغة سلسلة لا اعوجاج فيها ولا تعقيد، وكأن التعقيد والالتواء وعسر الفهم من سمات الترجمة ولوازمها. ولكن إتقان لغتين من اللغات لا يكفى مبرراً للتصدى لعملية الترجمة، إذ لابد أن يكون المترجم متخصصا فى المجال العلمى للعمل الذى يترجمه، فمن يترجم فى الطب لابد أن يكون طبيبا، ومن يترجم فى الفلسفة لابد أن يكون فيلسوفا أو دارسا للفلسفة على أقل تقدير. ذلك أن لكل علم مصطلحاته التى استقرت بين أهل الاختصاص، ولكل علم لغته

(*) أستاذ المكتبات بكلية الآداب – جامعة القاهرة .

التى يتحدث بها أهله. فلغة الرياضة غير لغة الأدب، ولغة الاقتصاد غير لغة الاجتماع. ويزداد الأمر خطورة إذا تصدى إنسان لترجمة نص دينى لأن الخطأ هنا يكون جسيما، ولأن النص الدينى حين يكون نصاً سماويا يكون معجزا فى ذاته، والترجمة تخرج به عن دائرة الإعجاز، ولأن النصوص السماوية تتعدد الاجتهادات فى فهمها، وقد تستعصى على الفهم ومن ثم تستعصى على الترجمة. وأضرب ذلك مثلاً بالحروف المقطعة فى أوائل بعض سور القرآن الكريم مثل : ألم، حم، كهيعص . فإذا تركنا النص السماوى وانتقلنا إلى النصوص الفقهية – مثلاً– وجدنا للفقهاء لغتهم الخاصة ومصطلحاتهم التى لا يصح تجاوزها أو التعبير بألفاظ بديلة عنها كالزكاة ونصابها، وكالطلاق الرجعى والبائن، وكالحج المفرد والقارن والمتمتع.

واكتمال الأضلاع الثلاثة لعملية الترجمة (اللغة المنقول عنها، واللغة المنقول إليها، والتخصص الموضوعى) لا يعنى أن الأمر أصبح ميسورا، فثمة مشكلات يواجهها المترجم ولم تكن تخطر له على بال.

وأعرف أن العرب منذ أصبحوا أمة وكوّنوا دولة قد عرفوا للترجمة قدرها فأقبلوا على تراث الامم القديمة ينقلونه إلى لغتهم بنهم شديد. ولم يقتصروا على نقل طب إبقراط ورياضة فيثاغورس وفيزياء أرشميدس وجغرافيا بطليموس، وإنما مضوا إلى ما هو أبعد من ذلك فلم يتحرجوا من نقل فلسفة أرسطو وأفلاطون.

ولقد بدأت بواكير حركة ترجمة التراث الإنسانى من اليونانية والسريانية خلال القرن الأول الهجرى، وازدهرت فى القرن الثانى وما تلاه. بل إن الترجمة أصبحت فى أواخر القرن الثانى عملا رسميا تنهض به الدولة ممثلة فى بيت الحكمة الذى أنشأه هارون الرشيد فى بغداد، وازدهر فى عهد ابنه المأمون، وقام بأكبر حركة ترجمة عرفتها الدولة الإسلامية. وهذه الحركة أمدت الثقافة العربية بدماء جديدة تدفقت فى عروقها وكان من نتيجتها الازدهار الثقافى الرائع الذى امتدت أضواؤه لتغمر القرون الثلاثة التالية، والذى استمدت منه أوربا عتادها لدخول عصر نهضة بعد ظلمة ليل طويل.

وينحسر المد الحضارى عن ديار الإسلام فى المشرق والمغرب عدة قرون، ثم تنهض ة من رقدتها وتفتح عيونها على الغرب فتبدأ محاولات جادة لنقل ثقافة الغرب وحضارته عن ق الترجمة. ولكن هذه المحاولات كانت تنجح حيناً وتتعثر حيناً آخر، وكان مما يثبّط عزمها ن قوتها أننا – بكل أسف – ننظر إلى الترجمة على أنها عمل ثانوى يأتى فى مرتبة تالية ، وأنها تفتقر إلى الأصالة والإبداع الذى يتميز به التأليف. وهذه النظرة الدونية نتج عنها د الأعمال المترجمة من النتاج العملى لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات عند تقدمهم بها

للترقية، مع أن الترجمة أحيانا تكون أفضل من كثير من الأعمال المؤلفة، خاصة إذا كان النص المترجم عملا علميا أصيلا وإضافة حقيقية للمعرفة الإنسانية، وإذا كان المترجم قد بذل جهدا متميزا فى تأصيل مصطلحات جديدة وفى اختيار الألفاظ التى تؤديها والتدقيق فى صياغتها وشرحها، ثم غرسها فى التربة العربية. وعملية الانتقاء والنحت فى اللغة لا تخلو من الابتكار، ولا تقل أهمية عن التأليف. وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن انصرف كثير من الباحثين عن الترجمة لما تتطلبه من جهد وصبر لا يحظيان بما يستحقانه من الاحترام والتقدير، واتجهوا إلى التأليف لأنه قد يحتاج إلى جهد أقل، ولأن ناتجه محسوب للمؤلف، فى حين أن الترجمة مهما كانت راقية ومهما كانت مبدعة، فإنها لا تحسب للمترجم وإنما تنسب للمؤلف الأصلى. وهكذا أصيب حركة الترجمة بضمور شديد، وفى المقابل ازدهرت حركة التأليف وامتلأت الساحة بمؤلفات بعضها لا يساوى الورق الذى طبع عليه.

وأعرف أن الترجمة فى العلوم الإنسانية والاجتماعية أصعب من الترجمة فى العلوم البحتة والتطبيقية، لأن الألفاظ فى المجالات العلمية تكون محددة ودقيقة، أما فى مجال الإنسانيات فإنا تتسم بالمرونة، والنصوص الأدبية -مثلا- تسمح بقدر كبير من الانفلات من الدلالات المعجمية للألفاظ، وتحمل قدرا كبيرا من الإيحاءات، فضلا عما يكون فيها من سمات بلاغية ومحسنات بديعية يصعب نقلها من لغة إلى أخرى، ومن ثم تفقد الترجمة شيئا كثيرا مما فى الأصل من مجال التعبير.

***

هذا ما كنت أعرفه وأسلِّم به قبل أن أمارس الترجمة، وقبل أن ألقى بنفسى فى بحارها. ورغم أننى لم أبتعد كثيرا عن الشاطئ، إلا أن أموراً كثيرة تكشفت لى، وخرجت من التجربة بحصاد وفير يصلح أن تفرد له دراسة مستقلة ليس هنا مجالها. وحسبى هنا أن أرصد بعض الصعوبات التى يواجهها المترجم ولابد له أن يجد لها حلولا مُرضية :

(١)وأول هذه الصعوبات أن الترجمة الحرفية فى مجال الإنسانيات والعلوم الاجتماعية لا تستساغ، فلابد من فهم روح النص، ولابد من اختيار اللفظ الذى يؤدى المعنى المراد بكل دقة، وبلا زيادة أو نقصان، ولابد أن يكون هذا اللفظ الذى وقع الاختيار عليه مقبولا من القراء ومفهوما عندهم. وأضرب لذلك مثالاً بكلمة National (فى مثل National library) ومعناها واضح لمن يقرؤها بالإنجليزية، ولكن البعض يترجمها (قومية) والبعض يعدّ القومية ضربا من العصبية ينكره الشرع فيؤثر عليها كلمة (وطنية)، وفئة ثالثة ترى أن كلمة (قومية) لا تقتصر على قطر وإنما تتسع لتشمل مجموعة أقطار متجانسة كالوطن

العربى، ومن ثم تفضل أن تترجمها (قُطرية).

وكلمة Biography تعنى الترجمة لشخص أو لمجموعة أشخاص، وتُجمع على "تراجم" ولكنها عندما تُذكر مقترنة بالنبى (صلى الله عليه وسلم) فى مثل Biography of prophet Muhammad لا يصح أن تترجم بـ (ترجمة النبى صلى الله عليه وسلم) أو (حياة النبى صلى الله عليه وسلم) وإنما المصطلح الذى ينبغى أن يستخدم هو (السيرة النبوية).

(٢) صعوبة أخرى تتمثل فى الحروف العربية التى لا يوجد لها مقابلات فى الحروف اللاتينية وهى الهمزة والثاء والذال والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف. وهناك قواعد للنقل الصوتى لهذه الحروف (transliteration) ولكن هذه القواعد تختلف من مصدر لآخر، فقواعد دائرة المعارف الإسلامية Encyclopedia of Islam غير القواعد التى وضعها بروكلمان فى كتابه (تاريخ الأدب العربى) GAL والتى وضعها فؤاد سيزكين فى كتابه (تاريخ التراث العربى) GAS. وهذه القواعد وتلك غير مألوفة للقراء بدليل أن (على) تكتب Ali مع أن الحرف A ليس هو العين وإنما هو الفتحة التى على العين وأشهر قواعد النقل الصوتى تضع المقابلات التالية :

الهمزة =	
ص =	ṣ
ض =	ḍ
ط =	ṭ
ع =	‘
غ =	gh
ق =	q

ويثور خلاف حول الثاء والذال لأن th تنطق ثاء تارة وذالا تارة أخرى.

(٣) ومن الحروف العربية التى يثور خلاف حولها الجيم المصرية، والتى تكتب غينا فى الشام والعراق، فنحن نقول : ببليوجرافيا، وهم يقولون : ببليوغرافيا، ونحن نقول : جوستاف، وهم يقولون : غوستاف. ومن الطريف أننا نجد فى بعض الدول العربية إعلانات ضخمة عن ساعات (بيق بن) و(أوميقا)، مع أننا فى مصر نكتبها : بيج بن وأوميجا، أما هم فيكتبونها بالقاف لتنطق جيما مصرية كلهجة أهل الصعيد فى مصر. وقد يصعب الاستغناء

عن الجيم المصرية فى مثل جلاسجو Glasgow فى المملكة المتحدة، وجراتـز Gratz فـى النمسا، ولاجوس Lagos، وجواندو Gwandu فى نجيريا، ولوجا Loga فى النيجر وسرنجار Sringar فى الهند.

(٤) ويتصل بالحروف العربية تشكيلها . فالفتحة عادة تكتب a ولكن الضمة تارة تكتب O وتارة تكتب U والكسرة تارة تكتب e وتارة تكتب i

ويقودنا التشكيل إلى المدّ، فمثلا (محمود) تكتـب أحيانـا Mahmoud وأحيانـا أخـرى Mahmud . و(على) تكتب تارة Aly وتارة Alī وتارة ثالثة Ali ، والمفهرسون فـى المكتبـات يجعلون الفتحة a والكسرة i والضمة u ويضعون شرطة فوق الحرف للدلالة على المدّ مثل كريم Karīm.

(٥) وكما أن اللغة العربية تتميز بحروف لا وجود لها فى اللغات الأوربية، فإن اللغات الأوربية هى الأخرى بها حروف لا نظير لها فى اللغة العربية مثل q, v, x. وتزداد المشكلة تعقيدا عندما يضاف إلى الحروف اللاتينية علامات فوقها أو تحتها مثل :

č ğ ī ž
ḏ ḥ ḳ ṣ ṭ
ń , ş

وتلك الظاهرة تطالعنا فى اللغات الروسية والطاجيكية والصينية والبولندية وغيرها.

(٦) ويواجه المترجم إلى اللغة العربية مشكلة فى تذكير الأسماء وتأنيثها خاصـة أن الأسـماء الأجنبية عادة تكتفى بالحرف الأول من الاسم الشخصى متبوعا بلقـب العائلـة مثـل M. Tatcher ويقع المترجم فى حيرة : هل يذكّر الاسم أم يؤنثه؟

ومن غرائب ما يصادفه المترجم الأسماء العربية التى ترد فى النصوص الأجنبية باسـم العائلة كأن يقول المؤلف مثلا : A. Abdel-Rahman وحرف (A) هنا قد يكون ألفا مثل (أحمد) وقد يكون عينا مثل (عبد أو على أو عائشة).

(٧) وأسماء الأشخاص تثير مشاكل كثيرة فى كتابتها وهل تكتب الأسماء الأجنبية حسب رسمها الإملائى أم حسب طريقة نطقها. مثال ذلك : ألبير Albert ولوجييه دى بـوريكى Laugier de Beaurecueil وخوستيل كلابوثو Justel Calabozo. بل إن رجلاً كالمستشرق فنسنك كتب اسمه بهذا الشكل على صفحة عنوان كتاب "مفتاح كنوز السنة" وكتبه (ونسنك) على صفحة عنوان "المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى".

وكتابة الأسماء العربية بحروف لاتينية تثير مشاكل أكثر، فاسم مثل :

عبد الرحمن يكتب تارة Abd al-Rahman

وتارة Abdel – Rahman

وتارة ثالثة Abdur- Rahman

والأسماء التركية القديمة ينبغى أن تكتب بالتركية العثمانية التى كانت تستخدم الحروف العربية، أما الأسماء الحديثة فتكتب بالتركية الحديثة التى تستخدم الحروف اللاتينية. وينبغى أن يعرف المترجم متى يستخدم الحروف العربية ومتى يستخدم الحروف اللاتينية.

ومن الصعوبات التى تثيرها الأسماء أيضا أن بعض الأسماء العربية حرّفت واستخدمت بأشكال جديدة فى أفريقيا. ومن الأمثلة على ذلك أنهم فى نيجيريا يسمُّون Murtala وهى محرفة عن (مرتضى) و Talata وهى محرفة عن (طلحة) و al-Kali وهى محرفة عن (القاضى).

(٨) والخلاف فى أسماء الأماكن الأجنبية أكبر من الخلاف فى أسماء الأشخاص، فمدينة شهيرة مثل كمبردج تكتب أحيانا هكذا، وفى أحيان أخرى تكتب كمبريدج أو كيمبردج. ويجد المترجم صعوبة بالغة فى كتابة أسماء بعض المدن وخاصة الأفريقية مثل Ngala فى نيجيريا و Mbame و Mtwiche و Njuli فى مالاوى . وتزداد هذه الصعوبة بسبب ما نجده من تباين بين الأطالس العربية[1] فى أسماء المدن مثل روتسواف Wroclaw فى بولندا. وتشتدّ حدّة هذا التباين بالنسبة لكثير من المدن الآسيوية والأفريقية. ومن المدن الهندية التى تختلف الأطالس العربية فى كتابتها :

- بمباى، بومباى .
- جوجارات ، جوجرات، گجرات
- سرنجار، سرينجار، سرنگار.

ومن المدن الموريتانية :

-أكيويت، أكجوجت

- تديكيا، تيجيكيا

---

[1] مثل : الأطلس العربى الذى أصدرته وزارة التربية والتعليم فى مصر، وأطلس العالم الذى أعده محمد سيد نصر وآخرون، والأطلس العام الذى أعده سعيد الصباغ، وأطلس أفريقية الذى أشرف عليه محمد سعودى وآخرون، وأطلس تاريخ الإسلام الذى وضعه حسين مؤنس.

وعلى المترجم فى مثل هذه الأحوال أن يختار الشكل الأكثر شيوعاً بين جمهور القراء، وأن يلتزم به. ولا بأس من الإشارة إلى الأشكال الأخرى فى حاشية تُذكر عند ورود الاسم لأول مرة.

(٩) وترجمة عناوين الكتب التى ترد فى النص إلى اللغة العربية تكون مفيدة للقارئ خاصة إذا كان العنوان الأصلى بلغة غير شائعة بين القراء كالصينية والروسية والأوردية والإندونيسية، ولكنها تمثل عبئاً على المترجم خاصة إذا كان الكتاب قد سبقت ترجمته إلى العربية . ففى هذه الحال ينبغى عليه أن يستعين بالأعمال الببليوجرافية وأن يلتزم بالعنوان الذى صدر به الكتاب فى اللغة العربية.

(١٠) وفى مجال الإنسانيات والعلوم الاجتماعية يكثر الرجوع إلى المصادر والنقل عنها. وكثيرا ما يصادف المترجم عن الإنجليزية أو غيرها من اللغات الأوردية نصوصاً مترجمة من أصول عربية. وفى مثل هذه الأحوال لا يصح أن يقوم بترجمة النص إلى العربية، وإنما عليه أن يرجع إلى المصدر العربى المترجم عنه وأن ينقل النص بالصيغة التى ورد بها دون تصرف أو اجتهاد. وقد لا يتسير له الحصول على الطبعة العربية التى نقل عنها المؤلف الأجنبى فيضطر إلى البحث فى الطبعة المتاحة له من أولها إلى آخرها حتى يعثر على النص المنقول .

* * *

تلك بعض الصعوبات التى ينبغى أن يتوقعها من يتصدى للترجمة فى مجال الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، وأن يهيئ نفسه لمواجهتها حتى لا يُصدم، وأن يفكِّر فيها مليًّا حتى يتخذ القرار السليم بشأنها، لأنه لا يترجم لنفسه وإنما يترجم لقارئ، وينبغى ألا يغيب هذا القارئ عن ذهنه فى كل ما يكتب.